الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة العربية وآدابها.

تخصص: دراسات لغوية.

المقام في خطبة "البتراء" لزياد بن أبيه
دراسة تداولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- جميلة العيفاوي.
- دليلة شلالي.

إشراف الأستاذ

– فرحات بلولي.

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	
– موساوي فريدة.	أ/ محاضر "ب"	رئيسا.
– أ/فرحات بلولي	أ/ محاضر "ب"	مشرفا ومقررا.
– لوصيف غنية.	أ/ مساعد "أ"	عضوا ممتحنا.

السنة الجامعية2014/ 2015

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا

وأنار دربه العلم والمعرفة وأعاننا في أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجازه

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف: بلولي فرحات الذي لم يبخل علينا بتوجهاته ونصائحه القيمة والتي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

إهداء

الحمد لله مهما حمدناه لم نستوفي حقه والصلاة والسلام على سيدنا محمد

إلى مصدر سعادتي بعد الله، إلى منبع عوضتني حنان أبي، إلى من لا حضن بعدها يدفيني ولا ملجأ بعدها يأويني **أمي الغالية حفظها الله.**

إلى من سرقت مني الحياة حلاوة لقائه، إلى من حلمت أن يكون هذا العمل هدية لإرضاءه **إلى روح أبي الطاهرة**

إلى أعظم ما أملك في الوجود أخي العزيز عيد.

إلى توأم روحي أخي إبراهيم.

إلى عوني في الحياة إخوتي وخاصة نبيلة وزوجها التي ساعدتني في هذا العمل وإلى كل أفراد عائلتي.

إلى أبناء أختي والكتكوت عبد الغني، محمد

إلى زميلتي في هذا العمل: دليلة.

إلى من ربطتني بهن وصال المحبة صديقاتي: نصيرة، أنيسة، عيلة شيخة، فاطمة، جميدة، ليلى، نادية، فطيمة، كريمة، مريم، سميرة.

جميلة

الإهـــداء

إلى من هي أكبر الكلمات، وأكبر ما حوته دفاتري وكل المذكرات

إلى من أهدتني ثواني ودقائق وساعات أهديك العمر كله وبعض

الأسطر والصفحات أمي الغالية

إلى من أحمل اسمه بكل فخر

إلى حلمي وعلمي أبي الغالي

إلى من أظهروا ماهو أجمل في الحياة إخوتي زينب،زهية،حفيظة

وأزواجهم وأولادهم،رزيقة وحكيمة ، وشمعة البيت أمينة وإلى أخي

فاتح وبلقاسم وزوجته والصغيرين" إسلام" و"سلسبيل"

و"صبرينة"

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها، إلى من لا يمكن للأرقام

أن تحصي فضائلها حبيبة قلبي جميلة وإلى كل الأصدقاء والأحباب

الذين تذوقت معهم أجمل اللحظات صديقاتي.

.

دليلة

مقدمة

يعد الأدب تعبيرا عن حياة عصر من العصور، والعصر الأموي نموذج مؤثر لحقبة تاريخية لحياة الأدب من هذه المؤثرات، نظرا لحياة اللّهو والإغراق والقلق الذي كان يعيشه أهل البصرة، هذه الاضطرابات كانت سببا في نشوء الأفاق الأدبية المختلفة من خلال مختلف الفنون كالخطابة والنّثر والشّعر...الخ، فالخطابة في زمن الجاهلّية بمقام الشّعر ورسالة الملوك والأمراء الذين يحافظون ببلاغتهم على سلطانهم ونفوذهم والموضوعات المتطرق إليها في الجاهلّية كانت بطولّية فروسّية أو دفاع أو صلح.

يعتبر العصر الأموي من أزهى عصور الإسلام خطابة، ولم يكن حظ الخطابة من الّرواج في أي عصر من عصور الأدب كلّه مثل ما كان في هذا العصر فازدهرت الخطابة وافتن الخطباء فيها فتمّيزت بخصائص شتى، فازداد عدد الخطباء في ذلك العصر وتعددت طوائفهم واختلفت نواحيهم، وكان لكلّ حزب خطبائه وأبرز مثال "زياد بن أبيه" "الحجاج بن يوسف" " معاوية بن أبي سفيان" "المغيرة بن شعبة" فمجال الخطابة واسع لتوسعه نال العديد من الّدراسات ووفق تطبيقات ومناهج مختلفة كالمنهج الاجتماعّي، المنهج التاريخّي إلا أن المنظور التّداولّي أكثر تخصصا ضمن دراسات الخطاب بأنواعه؛ حيث يميل إلى التّركيز خصوصا على مّميزات ما لم يتم قولهوما لم يـُ كتب،بالّرغم من إيصاله ضمن الخطاب المراد تحليله ولدراسة خطبة ضمن المنهج التّداولّي علينا تخطي الاهتمامات الاجتماعّية الابتدائّية للتّفاعل، وتحليل المحادثة، والنظر خلف الأشكال والبني الواردة في الّنص.

والتّركيز حثيثا على مفاهيم نفسّية مثل: المعرفة الخلفّية والمعتقدات، ففي تداولّية الخطاب نكون مجبرين لا مخيرين على استطلاع ما في ذهن المتكلم أو الكاتب باعتبار أن مجال التّداولّية محددا في ما وراء البنّية الّنصّية متجاوزة الّنص كبنّية مغلقة لا تحيل إلا على ذاتها وتستند في شكلها والتحامها وتماسكها على إمكانياتها وطاقاتها الّداخلية والصّوتّية والصّرفّية والتّركيبّية إلى الخطاب كبنّية منفتحة على سياقات خارجية في علاقة تفاعلّية مستمرة، والخطابة بوصفها فن المشافهة الجمهور مع أساليبها العديدة كالإقناع والاستمالة لهذه الأسباب اتجهنا إلى دراسة خطبة "البتراء" "لزياد بن أبيه" الموجهة نحو مجتمع البصرة المكتظة بالمؤثرات السّياسّية محاولين تبّيين

ظّروف نشوئها، وهذا ما يجرنا إلى طرح الإشكال التّالي: ماذا يمكن أن تقدم لنا التّداولّية في ميدان دراسة الخُطب؟ وكيف يمكننا دراسة خطبة زياد بن أبيه مقاّمياً ؟ كيف تظهر حيثيات عناصر المقام في خطبة البتراء؟

ويستحق النّظر في شخصّية زياد أكثر من الشّخصيات الخطابّية الأخرى التي كانت سائدة في العصر الأموي من خلال نشأته وحياته حيث يظهر لنا جوانب من محاولاته السّياسّية وأحوال مجتمعه المضطربة في ذلك الوقت، لقد عني زياد بتأليف خطبته وفق منهجّية معّينة فهي مقسمة إلى فقرات، والخطيب لم يتطرق لقواعد التخاطب، فهو لم يبدأ بالبسملة والحمدلة كبقية الخطب التي كانت سائدة قبل ذلك الوقت، إضافة إلى عدم ذكر آيات قرآنية، فالانفتاح بالبسملة والحمدلة في الخطبة له أهمّية فهو بمثابة واصلة توصل بين المنتج (زياد بن أبيه) والمتلقي (أهل البصرة) ويبدو أنّ غياب البسملة والحمدلة في الخطبة "البتراء" هو غياب قصدي يهدف إلى تحديد نمط الخطاب الذي سيوجه إلى المتلقي.

ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التداولّي، لأنّ أهم ما يمّيز المنهج التّداولّي اعتماده على معنى ما قاله المتكلم، والمعايير التي يحرص على إتباعها أثناء التلفظ.

يتضمن ميدان البحث تفسير ما يعينه النّاس في سياق معين، وكيفية تأثير السّياق فيما يُ قال كما ينبغي أيضا البحث في الطريقة التي ينظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله لهوية الذين يتكلمون إليه، وأين ومتى، وتحت أّية ظروف، ويعود سبب اختيارنا لموضوع المقام في خطبة "زياد بن أبيه" لتوفر هذه الخطبة على الكثير من الإيحاءات والمقاصد، لأن اختيار أي موضوع معين قصد دراسته لا يكون اعتباطياً، بل انطلاقا من كونه يشكل معنى وهدف في نظر الدارس وانطلاقا من هذا الأساس وقع اختيارنا على هذا الموضوع " المقام في خطبة زياد بن أبيه دراسة تداولية".

وقد قسمنا بحثنا هذا وفقا للبنية التالية: مقدمة وفصلين وخاتمة، حيث قدمنا في المقدمة عرضا عاما للموضوع يندرج في الفصل الأول ثلاثة مباحث؛ تحدثنا فيه على مفاهيم حول المقام ونشأته ثم على أهم عناصر المقام بالاعتماد على أهم الأبعاد التدّاولّية في التّحليل، أما الفصل الثاني فقد قمنا بدراسة تطبيقية تتضمن تحليل عناصر المقام التي يندرج تحتها ثلاث مباحث، تناولنا في المبحث الأول عنصر المتدخلون في الخطاب والعلاقة بينهما أما المبحث الثاني بعنوان الإطار الزمكانّي أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه إلى الخطاب وتوجيهه لننهي عملنا بخاتمة التّي سجلنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا، في عملنا هذا على مجموعة من الكتب المترجمة أهمها: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لدومنيك منغونو معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو وآخرون، التداولية اليوم آن روبول، التداولية من أوستين إلى غوفمان فليب بلانشيه، بالإضافة إلى كتب التاريخية كتاريخ الأدب العربّي لحسن الزيات، الجامع في تاريخ الأدب العربّي لحنا الفاخوريّ، مذكرة ماجستير لفريدة موساوي، السياق التداولّي في كليلة ودمنة لحبّي حكيمة.

وقد اعترضتنا صعوبات كثيرة أهمها: نقص المصادر والمراجع، وجود أغلب المصادر باللغة الأجنبية، وهذا ما جعلنا نستعين بالكتب المترجمة فقط، ضيق الوقت، ولكن هذا لم ينقص العزيمة بل زاد منها.

الفصل الأول

الركائز الأساسية التّي تقوم عليها الدراسة المقامّية للخطبة.

المبحث الأول: نشأة الدراسة المقامّية.

المبحث الثاني: مفاهيم عامة حول عناصر المقام.

المبحث الثالث: مفهوم الخطبة وخصائصها.

تمهيد:

يعتبر مجال التّداوليّة قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النّحويّة والدّلاليّة والبلاغّية، إذ يُعنى التّداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجّي أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع المُخاطب أو المُرسل إليه، ومن النّاحية الألسنّية فإنّ فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللّغة في الخطاب بالإضافة إلى تحليل العلاقة بين النّص ومن يستخدمه؛ موظفة بذلك مفهوما تجريديا يدّل على الموقف التّواصلّي (المقام)»[1] ومن خلال هذا يظهر أنّ الخطاب هو محور الدّراسة، وهو المحدّد لعناصر المقام الذّي يرتبط تأويله بها وفق عناصر وهي: المنتج المتّلقي، الزمان، المكان.

والأصل أنّ التداوليّة مكونا من المكونات الثّلاثة لعلم العلامات (في شكل رموز ومعاني وأوجه اتصال)، وهو مكون إلى جانب النّحو(تحليل العلاقات بين العلامات وعلم الدّلالة) و(تحليل العلاقات بين العلامات والمعاني والواقع الخارجي)[2] أخذت التّداوليّة من السّيميولوجّيا العلامات التي يحددها **شارل موريس (Charles Morris)** في جزء من السّيميولوجّيا التي تدرس العلاقة بين العلامة واستعمالاتها[3]، أي كّيفية استعمال اللّغة في الواقع للوصول إلى الهدف، ولا يخلو أي خطاب من الخطابات من الهدف ونقصد باستعمالات العلامة تحديد استعمال محدد من الجمل استعمالات أخرى ممكنة، أي نختار ما يناسب في الموضوعات، ونرجعه إلى مجاله، كما نتناوله في المكان والزّمان لا يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى ظروف إنتاج الخطاب أو ميلُ عرف بالمقام.

نجد فكرة المقام قد تجسدت في طيات وخبايا كتب القدامى العرب كالبلاغيين والنّقاد العرب،إلا أنّهم لم يُولو عناية به، والجديد الّذي جاءت به التّداولية هو إعادة الاعتبار لعنصر

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجيمان، 1997، ص 124 .

2- تون أ.فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: د سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب القاهرة، 2001، ص115.

3- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص48.

تمهيد:

المقام في تحليل النّصوص، فالمقام هو المفهوم المحوري والأساسي لتحليل النّصوص إلى جانب وجود مرتكزات نصية أخرى كلّها متعلقة بتحليل النّصوص ومن أهمها: الذاتية، الحجاج، أفعال الكلام.

المبحث الأول: نشأة الدراسة المقامّية.

1.المفهوم اللّغوي: قبل أنّ نتطرق إلى المفهوم اللّغوي للمقام في المعاجم علينا الإشارة أولا إلى أن المقام قد ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع وبمعاني مختلفة.

أ- المقام في القرآن الكريم:

✓ ورد المقام في الآية الكريمة بمعنى المكان أي المنازل الحسنة والمجالس البهية[1]

قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾(الآيتان (57) و(58) وسورة الشعراء).

✓ ورد بمعنى الموقف الذّي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة،وجاء الذّكر في سورة الرحمن **قال تعالى:**﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(الآية(46) سورة الرحمن).

✓ كذلك في الآية الكريمة فقد فسر المقام بمعنى لا مكان تقيمون فيه أو تقومون

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الآية (13) سورة الأحزاب).

✓وذكر في سورة الإسراء بمعنى المقام الذّي يحمده القائم فيه **قال تعالى:**﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾الآية(79) .

إن المقام في كل الأحوال التّي ذكر فيها عبارة عن المكان أو الموضع التفاعلي أو الموقف مع مختلف الأوضاع والحالات في لحظة تواصلية ما.

ب- المقام في المعاجم: جاء في مادة (ق و م) في لسان العرب "المقام" موضع القدمين"

1- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تح: الشيخ عادل أحمد ط1، الرياض، 1998.

قال: هذا مقام قدمي والمقام والُمقامة الموضع الذّي تُقام فيه، والمقامة بالضم، الإقامة والمقامة بالفتح المجلس، والجماعة من النّاس قال: أما المقام والُمقام فقد يكون كل واحد منها بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وإن جعلته من قام يضم فمضموم فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لأنّه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج وهذا مدحرجناً .

قال لبيد: عفت الدّيار محلّها فمقامها مبنى تأبد غولها فرجمها.

ويعني الإقامة و**قوله تعالى:**﴿ **وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾(الآية (26) من سورة الدّخان هو المنبر وقيل المنزلة الحسنة[1].

ويُعرفه الجرجاني في كتاب التعريفات بقوله: المقام في اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقساة تكلف فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك[2]، نلاحظ من خلال التعريفين أنّه لا وجود للاختلاف بينهما فكلاهما يرى بأن المقام لا يخرج عن المكان أو الموضع، والمنزلة الحسنة.

2. المفهوم الاصطلاحي للمقام: يُعد عنصر المقام إحدى اهتمامات علماء البلاغة والنقد العربي القديم فقد جاء الحديث عنه في سياق الحديث عن البلاغة والبيان والفصاحة والمناسبة وغيرها من القضايا التّي لها علاقة بالمقام.

أ- عند العرب:

1- المقام عند الجاحظ: إن لكل مقام مقال، واختيار المعاني المناسبة للمتلقي شيء ضروري أيّ

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ط4، دار الصادرة بيروت، 2005 مادة (ق و م) .

2- السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي, كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت ، 2003، باب الميم، ص224.

تخاطب النّاس حسب الطبقة الاجتماعية (أتكلم حسب مستوى المتلقي) وذلك في قوله:« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات)[1] فالكلام يتنوع حسب أحوال النّاس وطبقاتهم فعلى المتكلم أن يراعي هذه الفوارق.

2-المقام عند ابن قتيبة: لا يختلف تعريف المقام عند ابن قتيبة عما جاء به الجاحظ في قوله:« وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل وكثرة الحشد وجلالة المقام، ثم لا يأتي بالكلام كله مهذب كل التّهذيب ومصفى كل التصفّية بل تجده يمزج ويشوب، ليدل بالنّاقص على الوافر، وبالبعث على السمين ولو جعله بحراً واحداً لبخه بهاءه، وسلب ماءه»[2]فالخطيب يجعل كلامه حسب أحوال المستمعين وهو لا يأتي بالكلام مهذباً صافياً خالياً من الشوائب والمزج حتى لا يكون على مستوى واحد ليحافظ على عُذوبته وجزالته.

ب- عند الغرب:

1-المقام عند باتريك شارودو (Patrick Charaudeau): يستعمل لفظ (**Situation**) بطرق متنوعة يكون معادلا للسياق (**Contexte**)،ومع ذلك ينزع إلى التّميز عنه بتسميات متنوعة مقام التواصل، مقام الخطاب، مقام السياق أو سياق مقامي، مقام التلفظ.

بالنسبة إلى الملفوظات المنتجة وما إذا كان هناك داعٍ للمقابلة بين المقام الذّي من شأنه أن

1- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط7، القاهرة، ج1، ص139.

2- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت، 1973م، ص13.

يكون خارج اللّغة، والسياق الذّي من شأنه أن يكون خارج عن اللّغة[1] مّز"شارودو" من خلال تعريفه للمقام وفصل بين المقام والسياق، فالمقام عنده متعلق بالظروف أي يدرس عملية التلّفظ وعلاقاتها بالشروط الخارجّية، أما السّياق عنده فهو متعلق بالشروط الداخلّية لإنتاج الخطاب.

ويرى المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية مثلا أن مصطلح السياق يتفرع إلى معنيين: الأول هو تلك الوحدات السابقة أو اللاحقة للوحدة المدروسة في التركيب، أما المعنى الثاني، فمتعلق باللسانيات الاجتماعّية، وهو تلك الظروف الاجتماعّية التي تحيط بالمتكلم، أّما الوضعية الخطابّية والمصطلح عليه بالمقام فهي: العوامل النفسّية والتاريخّية بالأحرى غير الّغوّية التي تحدد إنتاج الخطاب[2] ومن أهم الباحثين أيضا.

2- في نظر سيرل (john rogers searl): ينبغي أن نقحمفي هذا المقام جميع المعارف التّي لا يكون للملفوظات معنى بدونها.

3- وفي نظر أوزوالدديكرو (Oswald Ducrot): فمقام الخطاب هو الّذي يمكن من الانتقال من معنى الجملة (المكون اللساني) إلى معنى الملفوظ (المكون البلاغي) ومقام الخطاب هو الّذي يوفرها باعتبار مجموع التعاليم التي توجه نشاط الفهم.

4- أوريكيوني (kerbrt orecchioni): أن السّيق مقامي أساساً أن تحدد مكوناته الأساسّية من المشاركين وموقع وهدف[3].

1- باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، تونس، 2002م، ص519 .

2- فرحات بلولي، ظاهرة التعاقب اللغوي في لغة الصحافة الرياضية جريدة "الهداف" أنموذجا، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص78.

3- المرجع السابق.

2-المقام عند جيلالي دلاش (Dalache Djilali): هناك من يستخدم مصطلحي المقام (Situation) والسياق (Context) دون تمييز بينهما حيث يحدد **(فال-Vahle)**المقام بقوله:«أنّه مجموعة من العوامل التّي يتعين على الفرد الانتقال بها حتى يتوقف في إنجاز فعله اللّغوي»[1] المقصود بقول **(فال)** إنّهحتى يتوقف المرسل في إنجاز فعله اللّغوي عليه أن يتبع مجموعة من العوامل.

وهابرماس الذّي وضع قائمة العناصر المكونة للمقام والتي حصرها **لفندريش (Vrunderlich)** الذّي قام بحصر العناصر المكونة للمقام فيما يلي:

- المشاركون في التبليغ.
- المتكلمون والمستمعون.
- مكان التفاعل.
- القول(الصفات اللّغوية، شبه اللّغوية، وغير اللّغوية).
- مقاصد المتكلمين.
- ترقبات **(Attentes)**المتكلم المستمع.
- مساهمة المشاركين في الموضوع.
- معارفهم اللّغوية.
- المعايير الاجتماعية.
- شخصياتهم وأدوارها.

المقام عند قاليسون وكوست (Galisson et Coste): "هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته والقول هو وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم

1- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، الجزائر، 1992، ص40.

ومستمعه، ويحصل ذلك في الوسط (المكان) واللحظة (الزمان) الذّي يحصل فيهما...وهذه العوامل كلها والمؤثرة في إنجاز القول وهي التّي تشكل المقام"[1].

ونلاحظ من كل هذا أنّ المقام هو الإطار الذّي يحدث فيه النشاط التلّفظي وتنجز المقاصد بواسطة أفعال الكلام، وهذه العوامل مرتبطة بالمتكلمين ونسميها (العوامل الداخلية) والعوامل التي هي خارجية تشكل متغيرات وإذا غيرنا عنصر من عناصر المقام تغير النشاط التلّفظي كله.

3. مقتضيات المقام (Context Situation): وتشمل مقتضيات المقام عوامل كثيرة منها مصدر الخطاب أي نوعية الخطاب (سياسي، ديني،اجتماعي...) وما المقصود بالخطاب علاقة بين مصدر الخطاب والمقصود به والحضور الذّهني العيني للمرسل إليه، فالحضور العيني للمرسل إليه يكون في الخطاب الشفوي المرسل إليه حاضرا بنفسه، أما الحضور الذّهني يكون في الخطاب المكتوب عند قراءتنا له يظهر الشخص[2] أي (مكان حدوث الخطاب) والمسرح الذّي تجري عليه وقائع الخطاب وغير ذلك.

1- المرجع السابق، ص40.

2- ينظر سعيد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب، ط3، د ب،2002م ص26.

المبحث الثاني: مفاهيم عامة حول عناصر المقام: يرتكز المقام الذّي سبق ذكُره على مكونات المقام الاتصالي الذّي لا يعدوا أنّ يكون المُتكلم والسامع معاً ، وبالتالي إنّ شرط تحقيق التواصل أو التّخاطب توفر طرفي الخطاب (المنتج والمتلقي)، وتكون التعبيرات الإشارية وسيطا لتحقيق الاتصال ويشير إلى حال المتكلم، ببروز الضمائر الخاصة بذلك، كما تشير إلى زمن النّطق ومكانه،أما معرفة السامع والمتكلم معاً فهي أحد العوامل المحوريّة المحدّدة لملامح النّصوص، إذ إن معرفة المتكلم بلغة العالم والمقام الذّي يرد فيه أهمية قصوى، يشاركه في تلك المعرفة السامع الذي ينبغي أن يكون متساوقاً مع معرفة السامع والاّ حدث تعطيل لعمليّة الاتصال[1] ومن البّين أن أثر هذه العناصر ليس مقتصراً على لحظة التلفظ؛ بل يمتد إلى ما قبله، وإلى بيان شيء من سمات تلك العناصر ودورها في الخِطاب، وذلك من خلال الظروف المحيطة بتلك العناصر والإحاطة بدراسة هذه العناصر تكون شاملة تتجاوز لحظة التلّفظ.

ويفترض **غرايس (Paul Grice)** أن المُتخاطبين المُساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعّاون فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية لتيسير تأويل أقواله ويشرح "غرايس" هذا مبدأ مقترحا أربع قواعد: قاعدة الكم التي تفرض أن تتضمن مساهمة المتكلم حداً من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام، قاعدة النوع التي تفترض نزاهة القائل وأن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يثبته[2]، فينبغي للمرسل والمرسل إليه أن يكون لهما رصيد معرفي كاف لإنجاح العمليّة التواصليّة.

1. المنتج (Predectem) وهو المرسل: هو الذّات المحورية في إنتاج الخطاب،لأّنه هو الذّي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه ويجسد ذاته من خلال بناء

1- أحمد جبر شعث، جماليات التناص، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 2003م، ص56.

2- آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر لبنان، 2003م، ص55-56.

خطابه فالمنتج هو الذّي يوظف اللّغة في مستوياتها المختلفة بتفعيلها في نسيج خطابه[1]، المرسل هو العنصر الأساسي في بناء التشكيلة الخطابّية باعتباره الطرف الأول الذّي يصدر عنه الخطاب وهو الأهم في العملّية الخطابّية آخذاً للّغة كوسيلة للتواصل بمستوياتها المختلفة.

2.**المتلقي (Respectem)**: وهو المرسل إليه هو الطرف الآخر الذّي يوجه إليه المنتج خطابه عمدًا ويدل ذلك أنّ المتلقي حاضر في ذهن المنتج عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضورا عينًيا أم استحضاراً ذهنًيا، وهذه الشخوص أو الاستحضار للمتلقي هو ما يسهم في حركة الخطاب[2] لإنجاح العملية التواصلية لا يقتصر على معرفة كل طرف بمعزل عن الآخر، فهناك العلاقة مشتركة بينهما وما نقصده ُ هنا معرفة المرسل إليه للطّابع القصدي للمنتج، إذ تعتبر محدّدا سياقًيا له دور في إنجاح عملية التوّاصل، والمنتج والمتلقي عنصران مهمان في تشكيل دورة التّخاطبّية إلا أن هناك ما يعيق هذه العملّية.

ما يتبّين لنا أنّ المتلقي يجب أن يكون حاضرًا في ذهن المنتج؛ حيث يكون لهم نفس الظروف المواتية ولديهم نفس الثّقافات وإلاّ حدث تعطيل في العملّية التّبليغّية فيلجأ المُتخاطبان إلى وسائل بديلة كاستعمال الإشارات أو حركات اليد.

3.الإطار الزمكاني (Cadre patio tempoel):

أ.**الزمان(Le temps)**: للزمن خصوصية التطور والحركة، وهذه الخصوصّية تؤثر بشكل مباشر في التّخطيط ولإنتاج، فتطوروعدم استقراره يُ حدث تحولات في السّياق ويتضح هذا في استعمال الإشاريات الزّمانّية مثل: تحديد الأفعال النّحوّية لأنها تشُكل جزء من سياق التلّفظ فلحظته هي التي تحدد الماضي من المضارع من المستقبل كما أن معنى الخطاب في الأعراف الاجتماعّية مرتبط

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط1، ليبيا 2003م، ص45- 46.

2 - المرجع السابق، ص47- 48.

بأوقات معّينة، وعُد الزمن بمفهومه الواسع الذّي يتجاوز لحظة التلّفظ محدّد من محدّدات التفّضيل إستراتجية على أخرى[1]، والقصد من وراء ذلك أنّ نوعّية الخطاب تختلف عبر الزّمن بالرّغم من أنّ المرسل إليه واحد، والسّؤال عن زمن ورود الخطاب يتجسد في السّؤال (متى).

ب.المكان (Le lieu): المكان عنصر سّياقي له دور في تشكيل الخطاب، وخصوصا المكان الذّي تفرض له الثّقافة نوعا من الخصوصّية، فمعرفة مكان الخطاب تحدد استعمال بعض الأشكال اللّغوّية والألفاظ في الخطاب،كما يتفاوت إنجاز بعض الأفعال اللّغوّية حسب المكان مثل: حلف اليمين، فلا تقبل من شخص، وهو يمارس فعلا محرمًا في أحد الأماكن مثل الحانات، ولم يعد مفهوم المكان هو المفهوم التقّليدي بل أصبح يشمل كلّ ما يمكن تجسيد الخطاب فيه.

كذلك المكان يتحدد من خلال استعمال الإشارّيات المكانّية مشروعّية إسهامها في الخطاب فنجدها تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعّية في الحدث الكلامي[2]، لقد تجاوز مفهوم المكان معناه المعروف هو الحيز أو الرّقعة كمفهوم عام إلى مفهوم أخص يتضمن مكان حدوث الخطاب.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص65.

2- نفسه، ص66.

المبحث الثالث:

1.مفهوم الخطبة:

إن من الأجناس الأدبّية التي لقيت رواجًا في مسار الكتابة هي الخطابة، فهي جنس واحد من كلام نثري له علاقة بالمجتمع، وهي أقوى من الإنتاجيات الأدبّية الأخرى تتعايش مع المجتمع.

أ. **المفهوم الّلغوي للخطبة:** ورد مفهوم الخطبة في لسان العرب الخطابة والُمخاطبة ُمرجعة الكلام، وقد خاطبه ُ بالكلام ُمخاطبة بالكلام مخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان.

وعرفها اللّيث: الخطبة مصدر الخطيب.

وخطب الخاطب على المنبر واحتطب يخطب خطابة واسم الكلام الخطبة.

قال أبو منصور: والذّي قال اللّيث: إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلاّ على وجه واحد وهو أن الخطبة اسم الكلام الذّي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر.

وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسّجع ونحوه وفي التهذيب: والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وأخر.

ورجل خطيب: حسن الخطبة وجمع الخطب خطباء[1].

عّرفها الزّمخشري في معجمه أساس البلاغة كمايلي:"خطب: خاطبة أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخاطب خطبة حسنة وخطب الخاطب خطبة أن يخطب إليهم يقال: اختطبوه فما خطب إليهم"[2].

1- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، ج13، مادة (خ ط ب) ص1194-1195.

2-أبي القاسم جار اللّه محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1998م، ص215.

تعريف الجرجاني للخطابة يقول: إنها قياس مركب من مقدمات مقبولة مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم من أمور ومعاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ[1]، نجد أن هذه التعريفات للخطبة لا تخرج عن إطار مراجعة الكلام أو المواجهة بالكلام، والغرض كله هو ترغيب النّاس في شيء ينفعهم.

ب- المفهوم الاصطلاحيّ: تقابل الخطابة عند أرسطو مفهوم (Retorika) وهي قوة تتكلف بالإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة و(retorika) قد يظن أنّها هي التّي تتكلف بالإقناع في الأمر يعرض كائنًا ما كان، ولذلك مالا تناسبها إلى جنس أصلي منفرد حتى يكون لها تلك الصّناعة خاصة[2]، الخطبة حسب أرسطو هي فن يسعى من خلالها الخطيب إلى إقناع المُخاطب بأمر ما، وتكون لها قوانين وأصول حتى تكون لها مهمة التأثير والإقناع.

ورد في كتاب "نقد النثر" لقدامى بن جعفر مفهوم الخطابة كمايلي: فالخطب تستعمل في إصلاح ذات البين وإطفاء ثائرة الحرب وحمالة الدّماء والتّسديد للملك والتأّكيد للعهد عقد الأملاك وفي الدّعاء إلى اللّه عز وجل وفي الإشادة بالمناقب ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته في النّاس[3] وتطرق قدامة بن جعفر إلى مجالات استعمال الخطابة (إما دينّي، اجتماعّي، سياسّي).

2- خصائص الخطابة السياسية ومميزاتها:

انفردت الخطابة في العصر الأموي عن باقي العصور فجاءت منسقة الأفكار مرتبة الأقسام محكمة التسلسل من خصائصها:

1- طول الخطب.

1- علي الحسن الجرجاني، كتاب التعريفات، باب الخاء، ص104.

2- أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي, دار القلم, بيروت، 1979، ص9.

3- أبي الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر أو كتاب البيان، تح: طه حسين بك، طبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1941، ص105.

2- ظهور عنصر التهديد والوعيد وكثير ما مزجوا الخطباء أساليب التهديد بروح الاحتقار وعمدوا إلى عبارات الشتم والتهديد.

3- الإفادة من منهج الاستمالة والترغيب.ترصيع الخطب بالأمثال والشواهد الشعرية في مواقف الإرهاب والشدة[1].

تضمنت الخطبة في هذا العصر كثرت التهديد للذين تحدثهم أنفاسهم بالعصيان وربما إشارات مسيئة إلى الأفراد والجماعات مما هو مألوف في المنافسات كما ترى في خطب زياد بن أبيه ومن مميزاتها ما يلي:

- عذوبة ألفاظها.
- متانة أسلوبها.
- قوة تأثيرها.
- اقتباسها من القرآن.
- انتهاجها منهج في الإرشاد والإقناع.
- ابتداؤها بحمد الله والصلاة على الرسول[2].

يتميز الخطيب بكثير من الصفات ومميزات إلا أن هذه المميزات تظهر في الخطيب من خلال خطابه كقوة التأثير والإقناع ومتانة الأسلوب وعذوبة ألفاظها وغيرها.

1- عيسى متقى زاده، فن الخطابة في ضوء الحياة الاجتماعية في العصر الأموي الخطبة البتراء، مذكرة ماجستير، إيران، د ت، ص06.

2- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبعة والنشر، القاهرة، د ت، ص176.

الفصل الثانـي

تحليل عناصر المقام في خطبة البتراء "دراسة تطبيقية"

المبحث الأول:المتدخلون في الخطاب والعلاقة بينهما.

المبحث الثاني: الإطار الزمكانّي.

المبحث الثالث: استراتيجية الخطاب.

توطئة:

1- سيرة زياد بن أبيه: هو زياد بن سمّيّة، المعروف بزياد بن أبيه من أهل الطائف نسب إلى أبي سفيان ولد بالسنة الأولى للهجرة، فنشأ أديباً سديداً في الرأي وقد ولى بعض الأعمال فأظهر صرامته فيها حتى استكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة.

تجلى نبوغه، وظهر حذقه، ثم تقلبت به الأمور في عهد عمر حتى شاء أن يعزله عن عمله "لا لخيانة ولا لعجز"، كان يستكفيه المهم من أموره فيكيفه غير عاجز ولا مقصر، وخطب بين يديه في حضرة المهاجرين والأنصار خطبة لم يسمعوا مثلها، ولما تسلم معاوية زمام الخلافة إستلحاقه بنسب أبيه، فصار يدعى بعد ذلك زياد بن أبي سفيان، وولاه البصرة والكوفة وخراسان وسجستان، فساس البلاد سياسة صارمة قضت على كل شغب وفساد آنذاك، كان يقيم بالبصرة ستة أشهر وفي الكوفة مثلها، توفي بالطاعون عام 53هـ/ 673م.

2-أخلاقه ومواهبه:

كان زياد من ذوي الأحلام الوافرة والأذهان الحاضرة واللسان الفتيق، قال فيه الشعبي:

« ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسئ إلا زيادا، فإنّه كلما أكثر كان أجود كلاما».

رمى به معاوية وجوه الفتن، خافه الناس خوفا شديدا حتى أمن بعضهم بعضا، هو أول من أعلن الحكم العرفي في الإسلام بخطبته المعروفة "بالبتراء" وهي التي خطبها حين قدم البصرة[1].

3- إسلامه وجهاده:

دخل زياد الإسلام حين كان عمره تسع سنوات، في بداية عهد الخليفة الراشد الأول أبي بكر

1- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص189إلى 191.

الصديق، ويعتبر زياد من الفتيان المسلمين الذين أسهموا في بناء دولة الإسلام فتبوأ مواقع القيادة ووضع القرارات، صار واحدا من حكام الدولة، اختاره علي بن أبي طالب ليكون أحد ولاته في فارس، بعد أن اختاره أحد الولاة وهو أبو موسى الأشعري ليكون له معينا في حكم البصرة، فأصبح الحارس الأمين والجندي المخلص في دولة بني أمية، وصاحب النصيب الأوفر بين حكامها وولاتها.

يعتبر إسلامه المبكر فرصة لبداية جهاده في وقت مبكر باعتبار الجهاد هو شغل النّاس الشاغل في تلك الأيام، بعدما كان شغلهم هو نشر التوحيد، لاسيما بعد القضاء على ردة المرتدين، وتنبئ المتنبئين، وما تلا ذلك من احتكاك مبكر من دولتين الفرس والروم، وشارك زياد المسلمين الجهاد وعمره يتجاوز الرابع عشر في عهد عمر بن الخطاب في فتح العراق، وكسب بذلك كله الاحترام[1].

4- أدبه :

لزياد بن أبيه عدد من الخطب السّياسّية والإدارّية أشهرها "البتراء" التي ألقاها سنة (665هـ- 45هـ) لما قدم البصرة واليا من قبل معاوية، وقد سمّيت خطبته البتراء لعدم بدئها بالحمدلة، وقيل غير ذلك[2].

1- محمد اسماعيل الجاويش، موسوعة دهاة العرب، مؤسسة جوريس الدولية للنشر والتوزيع، ط1، د ب 2005، ص254- 255.

2- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل العربي, ط1، بيروت، 1986، ص362.

تعرضنا في الجانب النّظري إلى أهم عناصر المقام عند "هابرماس" الذي وضع العناصر المكونة للمقام حصرها "فندريش **Vrunderlich**" فيما يلي: المشاركون في التبليغ، المتكلمون والمستمعون، مكان التفاعل، مقاصد المتكلمين، القول، ترقبات المتكلم والمستمع، مساهمة المشاركين في الموضوع، معارفهم اللّغوّية، المعايير الاجتماعّية، شخصياتهم وأدوارها.

التنوع في هذه العناصر تفرضه طبيعة المدونة الخطابّية، فلا بد من الانطلاق من المدونة لاكتشاف عناصر المقام وليس العكس، وعلى هذا المنوال نقوم بدراستنا المقام في خطبة زياد بن أبيه "البتراء" مبرزانا الظّروف الدّافعة وراء نشوء هذه الخطبة والحياة الاجتماعّية والسّياسّية التي كانت في ذلك الوقت باعتبار تحليل بنية التّخاطب في ملفوظ الخطاب يتطلب مراعاة مجموعة من الأنظمة خلال عملية التلّفظ: منها الكائن المتلّفظ (زياد بن أبيه) وملفوظاته من جهة والمتلّفظ فيه (مقام التلّفظ) والمتلّفظ له أو لأجله (مقصدّية التلّفظ) والغاية النّهائّية منها والمتلّفظ إليه (المُخاطب أو السّامع الفعلّي أو الضمنّي)، وفي سياق تحليلنا لعلاقة المتلّفظ بملفوظاته يجب علينا قبل كلّ شيء أن نبحث في السبب الذي جعل من المتلّفظ أن يتلفظ بهذا الملفوظ بالذات، وهذا يقتضي البحث في مقاملتّ لفظ من جهة.

ويسعى المتلّفظ خلال عملية التلّفظ إلى تحقيق غاية، وكذلك دراسة الخطبة تستدعي بنا العودة والنظر إلى البعد الحجاجّي ليحقق الاستمالة والإقناع الذي نجده واضحا في هذه الخطبة من خلال أساليب اللّغوّية والبلاغّية، كما نجد لذاتّية الخطيب حضور فعال يبدو واضح.

المبحث الأول: المتدخلون في الخطاب والعلاقة بينهم:

1/ المنتج في خطبة زياد بن أبيه:

تبدو شخصّية المرسل في الخطبة أنه يحمل صفات كثيرة على الأقل من جانب المستوى الخطابي ويمكن إجمال هذه الصفات فيما يلي:

1/1- الصفات:

أ- **تأثره بحياته السابقة:** عاش حياة صعبة أثرت على مضمون الخطبة ويبدو ذلك في كثير من مواضع الخطبة منها:

قوله:« فإن الجهالةَ الجهلاَء* ، والضلالةَ العمياَء والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سُفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم»[1] وهذا كله دال على الدور الذي يريد أن يؤديه المرسل، وذلك لإثبات سلطته على المرسل إليه (أعلى درجة من المرسل إليه)، وهذا ما نلاحظه في مواضع أخرى من الخطبة في قوله:

« أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه »[2].

« تغضون على المختلس»[3].

«لا آخذ داعيها إلاّ قطعت لسانه»[4].

نلاحظ أن هذه المقتطفات تحتمل كلّها استلزامات خطابية فالمرسل يتوقع أن يساهم في إيصال خطابه بكيفية تجعله يربط بين ما كان يعيشه وما يتلفظه لتيسير تأويل خطابه لدى المرسل إليه.

---

* الجهلاء: هذا وصف تركيب المبالغة ومثله ليلة ليلاء، ويوم أيوم أي شديد أو أخر يوم في الشهيد.

1- الخطبة (الملحق ص50)

2- الملحق ص50.

3-الملحق ص50.

4-الملحق ص51.

ب- إمتاز بلغته الخطابّية: المرسل في هذه الخطبة يمتاز بنبرة خطابّية وأسلوب مغري يهدف به إلى شد المرسل إليه للوصول إلى ممارسة التأثير عليه، يبدو أن هذا الكلام المذكور يظهر في كثير من المواضع منها قوله:

«أيـُها الناس، أنا أصبحنا لكم سادة وعنكم ذادة »[1].

« كأنكم لم تقرؤ كتاب الله »[2].

«حرام علي الطعام والشراب»[3].

نلاحظ من هذه الأمثلة الواردة في الخطبة أنها تحمل أساليب إنشائية من نهي وأمر، ووعظ ودعاء، تدل كلّها على الإعلان والنداء لممارسة الحكم على المرسل إليه.

1-2- الذاتية (La Subjctivite):

ظهور المنتج من خلال ذاتيته التي طغت أغلب أقسام الخطبة مثل: استعمال الضمائر والتي تظهر لنا أن المنتج حاضر في كلّ وقت، فالذّاتّية لها علاقة بمرجعّية النّص والإشاريات عامل هام في تكوين بنية الخطاب، ويستعمل المنتج الإحالات للإشارة إلى المعلومات القديمة. فهناك ذاتية وجدانية (الجانب النفسي للشخص) وأخرى تقييمية تتعلق بإصدار الأحكام ولتوضيح هذا التقسيم نسوق مجموعة من الأمثلة المستنتجة من الخطبة في قوله:

« إني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي»[4].

1- الخطبة، (الملحق ص51).
2- ملحق ص50.
3- ملحق ص51.
4- ملحق ص51.

فالذاتّية معبر عنها عن طريق نون الجمع في (لأخذن)، وكذلك عن طريق ضمير المتكلم (إني)، وحضور هذه الأداة هو إحالتهلفظًا على أّنه سيقوم بتثبيت العقوبة خصوصًا وأّنها جاءت مقرونة بالقسم.

وفي قوله:« إلا ضربت عنقه»[1].

الذاتية معبر عنها عن طريق ضمير المتكلم (التاء) في ضربت وعن طريق ضمير المُخاطب (الهاء) في عنقه، ولا يتلفظ المنتج بضمير المتكلم ابتداءا في خطابه خصوصًا عند اجتماعه بالمتلقي لأن ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة ولا يتلفظ به إلاّ عند افتراضه أي اعتراض مسبق أو تساؤل .

وفي قوله:

« فأنا ضامن لما ذهب منه»[2].

الذاتية معبر عنها عن طريق الضمير(أنا) الذي تتأسس عليه ذاتية المتكلم، فحضور الأداة الإشارية "أنا" في ذهن المتلقي هو إحالته لفظا على المنتج عندما ينقل الخبر إلى غيره من النّاس وشكّ أحد في صحته فالخطيب على وشك تقديم دليل على صحة دعوته، مقدما بذلك دليل معنوي لضمان ما ذهب منهم واضعاً نفسه محل الاقتداء به.

وفي قوله:

« إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أّوله»[3].

الذاتية معبر عنها عن طريق ضمير المتكلم (إني)، وعن طريق ضمير (الهاء) الغائب في أوله تلفظ المنتج بضمير المتكلم فسرته المشاهدة والتجربة القبلية ولا يتلفظ به إلاّ عند معايشة

1- ملحق ص51.
2- ملحق ص51.
3- ملحق ص51.

هذه الظاهرة ففعل الرؤّية هو تأكيد مشاهدة المنتج لأمور مشابهة لما يعيشه أهل البصرة فالمنتج استمد قوله من الرسول عليه الصلاة والسلام بأنّ الأمة لا تصلح إلاّ بصلاح أولها.

من خلال هذه التقسيمات يمكن إحصاء ورود الذاتّية التي يظهر فيها المنتج وفق ما يبينه الجدول:

أنواع الذاتية	
الذاتية الوجدانية	الذاتية القيمية
-عن طريق ضمير المتكلم: سفكت، ضربت، جعلت، علمت، أديت، قدمي، فإني، فأنا معصيتي، يدي، لساني، عندي - عن طريق ضمير المخاطب: عنقه قلبه. - عن طريق ضمير الجمع: أصبحنا، قدومنا.	غرقناه، احرقناه، دفناه، إحسانا، إساءته.

من خلال الجدول نلاحظ طغيان الذاتية الوجدانّية، وهذا ما يحيلنا إلى التعرف على الجانب النّفسي لشخصّية زياد لتكرار النون الدّالة على ذات الخطيب وورود هذا الضّمير دال على حضوره العينّي في خطابه وممارسته السلطة على الطرف الآخر، وهو ما يعبر عن الذات أنا، نحن، ومن كل هذا يبدو أن زياد متأثرا لما آل له أهل البصرة راغبا في ذلك التغيير من الفساد ولما انتشر بين الناس من المجون والفحش والزّندقة والريبة.

1-3- الحجاج (Argumentation):

كذلك الإقناع سلطة استعملها المنتج في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المتلقي، وما يجعل الإقناع سلطة مقبولة هو كون الحجاج الأداة العامّة من بين ما يتوسل به

المنتج من أدوات أو آليات لغوّية، فالحجاج كونه محدد للمقام، فلا يكاد أي خطاب يخلو من البعد الحجاجّي والذي يجعله أكثر تأثيرًا يكمن في مدى نجاحه في التعامل مع المشاركين وعناصر المقام الأخرى وهو ما يتعلق خاصة بسلطة المتكلم في مقابل سلطة الآخر أما طبيعة الإشكالية التي نريد إثارتها في هذه الدراسة تتمثل في تحديد طبيعة العلاقة التي ارتبطت بها هذه الخطبة بالمقام، ومحاولة تفسير نظام حكم الذي أصدره زياد لأهل البصرة، وهو أمر يستدعي الالتفات إلى البعد الحجاجّي، فالمنتج ذهب إلى الإقرار بضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع المتلقي في زمن كثرت فيه أسباب الخلاف من خلال استعمال أسلوب التهديد والوعيد، والترهيب هذه الأساليب التي وظفها الخطيب زياد بن أبيه في ملفوظه الخطابّي تنَوعت من آليات لغوّية بلاغية كالتشبيه والاستعارة...

يذكر الحجاج حقائق فعلية وأحداث معّينة لا يشك المخاطبون في ثبوتّيتها المرجعّية لكن ذِكرها في الخطاب أو النّص لا بد أن يكون له طابع حجاجي، ويظهر المنتج حججه بالاعتماد على مختلف تقنيات حتى يكون هناك تنظيم للعلاقات بين الحجج والنتائج، ويكون هناك إقناع للمتلقي، ومن بين الحجج التي تظهر في الخطبة نجد ما يلي:

في قوله:

« الجهالة الجهلاء، الضلالة العمياء»[1].

اختيار الخطيب لفظتي الجهالة والعمياء لتقوّية فكرته، ونقل المستمعين من الإسلام إلى أهل النار، والصفة تمثل أداة في الفعل الحجاجّي، وعلامة عليه لتوجيه انتباه المتلقي إلى ما يريد أن يقنعه به في حِجاجه لأنّ الصّفة تبينّ لنا وجهة نظرنا من الموضوع.

1- الخطبة الملحق ص50.

قوله:

« لم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج اللّيل وغارة النهار؟ ما أنتم بالحلماء... وقد اتبعتم السفهاء... حرام علّي الطّعام والشّراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا... وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي»[1].

استعمل الخطيب استفهام إنكاري وتمازج أساليب الإيجاب بالنفي وأساليب الخبر بالإنشاء واستعمال القسم مما يكسب الكلام قوة وبلاغة نادرتين وكأن المُخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير المتكلم، فالاستفهام فعل لغوي يتوسل به الكثير في فعلهم، والمرسل يدرك المعنى الخطابي كما يدرك المتلقي أن هذه الأسئلة ليست استفهاما عن مجهول، إذ لا يجهل المنتج شيئاً من هذه المعارف، فهو يعرف بأن هناك في كل قوم إلا ويوجد نايٍ صلح الفساد.

قوله:

« إياي ودعوة الجاهلية»[2].

فإياي هذه الوحدة اللّغوية (إياي) تقديرها "حذاري" فالاستفهام في العبارة جاء لغرض التحذير لأن المُتلقي يحذر السامع من قضية معينة، وهي قضية كانت مطروحة زمن الجاهلية (مناصرة المصيبة).

قوله:

« فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه»[3].

استعمل الخطيب المفعول لأجله من ألفاظ التعليل يدل على سبب ما قبله، فيورد في كل مرة عقوبة ويربطها بالسبب الذي قبله، يحاول الخطيب تطبيق سياسة حكمه ويعرضها.

1 – الملحق51.

2 –الملحق ص51.

3– ملحق ص51.

قوله:

« لا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم»[1].

استعمل الخطيب النهي والإقرار بجواب غير جواب المتكلم.

قوله:

« لا تشربوا قلوبكم بعضكم فليشتد لذلك غيظكم ويطول حزنكم»[2].

فهي استعارة حجاجّية لأنه يصف قومه وهم في حالة جور وهلاك ويرجح الخطيب استعمالها إلا لثقته بأّنها أبلغ من الحقيقة حجاجًيا.

في قوله:

« رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أّوله»[3].

يريد المنتج هنا إقناع المتلقي بتطبيق حكمه وفق قاعدة العدل وما تقتضيه الشريعة بحكم انتماءه الديني.

في قوله:

« ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته»[4].

تظهر محاولة المنتج في وصف الحالة نفسها في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين ربطه الثواب بالطاعة والعذاب الأليم للعاصي وما يتميز به هذا النوع أنه دعوة المنتج للمتلقي ومحاولة بلورة علاقات متشابهة بين السياقات تدخل في إطار الحجاج بالتبادل.

1- الخطبة (الملحق ص52).
2- الملحق ص51.
3- الملحق ص51.
4- الملحق ص50.

اعتبرت هذه الآليات بمثابة أداة للاستطلاع على الخلفية الثقافية بين الخطيب والمتلقي (أهل البصرة) كلّها بيّنت لنا طبيعة منصبه الذي يحتله باعتباره خطيبًا، وهذه من صفات الخطيب، وللمقام دور في تشكيل عناصر الحجاج حسب برلمان:« المقام هو الذي يمنح الكلمة الملقاة والأخرى المكتوبة دورهما ومكانتهما بغض النظر عما تحملانه من شحنات دلاّلية أو معنوية قبلية»[1].

فما يهدف إليه الحجاج هو دمج المتكلم والسامع والمقام معا حيث يتطلب وعيا بآليات من شأنها تحريك المعنيين بالكلام صوب الفعل وتغييره بما ينسجم مع المقام وتتطلبه مقاصد الخطيب، ومن ثمة، فالحجاج لم يكتف بالأساليب اللّغويّة فحسب بل جاء وفقا للظّروف الخارجيّة التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام خاصة بما فيها النفسّية والاجتماعّية.

البعد الحجاجّي من المنظور التداولّي وثيق الصلة بالمقام الذي يخضعها الخطيب إلى منطقه وليس العكس، كذلك الأفعال اللغوية لها علاقة بالحجاج التي تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج وترتيب هذه الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالأفعال المتوفرة في الملفوظ هي أفعال مباشرة في قوله:« واعلموا، لا يرجو، لا تظهر، فليحضر، فاغتمزوها...» واستعملها الخطيب لغرض التهديد والوعيد غرضها هو التزام الخطيب بفعل شيء.

يحقق الُمخاطب فعله الإنجازي بامتياز على مستوى الملفوظ لتوفير أفعال الأمر والنهي فهو في مرتبة اجتماعّية وسياسّية أعلى من أهل البصرة سمح له بتهديدهم على أرض الواقع وكان دور هذه الأفعال دعم حجج المنتج واستطاعتها على فعل تحريك هذه الأفعال وفق ما يقتضيه المقام.

1- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع 03،.ص85.

2-المتلقي في خطبة زياد بن أبيه:

يقتضي للُمرسل أن يكون له طرف آخر يوجه إليه خطابه، ويكون الخطيب في مستوى أعلى يبلغ خطابه إلى مستوى أدنى من ثقافته، ويظهر ذلك في قوله

« كأنكم لم تقرؤا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته»[1]

يظهر المتلقي بأّنه مختلف عن المنتج من خلال استعمال أسلوب النهي والنفي من طرف المنتج.

يبدو المتلقي في الخطبة أّنه تخييلي ضمني باعتبار أن الخطاب غير مباشر، فالمنتج حاضر ينتظر الرد الغير الّغوي عن طريق الأفعال والإنجازات من الطرف الآخر يمكن أن نلتمسه في الخطاب من خلال ملفوظاته تخييلّية إخباريّة غير حرفّية متضمنة ضمن صيغ أفعال الكلام غير مباشرة أو ضمن طلبات تخييلّية، ويمكن التمثيل له من الخطبة بالأفعال التالية: كأنكم، تذكرون، قيامكم....الخ.

يبدو أن هذه الوضعية شبيهة بما وضعه (سيرل) أي إن المنتج يعلن رغبته في أن يتدخل المتلقي ليشاركه فعله[2]، يظهر هذا التباين الحاصل ووضعية المتلقي الذي يحدد طبيعة القوة الإنشائية للتلّفظ، وفي هذه الحالة فإن المتلّفظ، هو المسؤول عن الأعمال المتضمنة في القول في حين أن المتلقي هو من نوجه إليه هذه الأعمال.

وما نلاحظه في مواضع أخرى من الخطبة:

- واعلموا أن عندي أمثالها[3].

1- الخطبة (الملحق ص50).

2 - منصوري مصطفى، نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص51.

3- الخطبة، ملحق ص51.

– من نقب منكم عليه، فأنا ضامن لما ذهب منه[1].

– فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا[2].

– فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم[3].

ومن هنا يمكن القول أن تلك القوة التي كانت تمارسها هذه العبارة على مجتمع أهل البصرة في العصر الأمويّ، إنّما هي مستمدة من مخزونها الإنشائّي، وقد يتحول إلى فعل تأثيري في سياق الذي قيلت فيه.

يظهر المتلقي من خلال واصلات الخطاب المتمثلة في ضمير المخاطب "أنتم" وكثرة وروده في الخطبة دليل على أن وضع أهل البصرة في تدهور، ولم يكن الأمن مستتبا حين وليّها عبد الله بن عامر، فكان القتل والسرقة في شوارعها أمرا عادياً كما سادتها الإضطرابات والفتن بين الناس، كما نلمسه في الأمثلة التالية:

– اتبعتم السفهاء[4].

– انتهكوا حرم الإسلام[5].

– وراءكم كنوساً في مكانس الريب[6].

نستنتج، من كل هذه الأمثلة الواردة في الخطبة، أن هذه الصّفات مقرونة بالمرسل إليه والدّليل على ذلك تلك الإطراءات الضّمنية المشحونة بالكثير من الإيحاءات الدّالة على وضعهم المعاش.

1- ملحق ص50.
2- ملحق ص51.
3- ملحق ص52.
4- ملحق ص50.
5- ملحق ص50.
6- ملحق ص51.

تجسد الخطبة إحالات تاريخّية إلى الأيام التّي عاشها أهل البصرة لتصبح هذه الإحالات من المنظور التداولّي في حالة التفّاعل مع ظروف إنتاج الخطبة، فنجده في نهاية الخطبة يبرز الفارق الطّبقي بين السيد الحاكم والعبد في قوله المقتطف من الخطبة:

- إنا أصبحنا لكم سادة وعنكم ذادة[1].

لا تحيل هذه العبارة على دلالة الملفوظ بقدر ما تحيل على هوية المتلقي وموضعه بالمقابل مع المنتج؛ فهي توحي بالمفهوم التداولّي إلى شرعية الحكم التي تتمفصل إلى جزأين:

1- الحكم على أساس التعيين.

2- الحكم على أساس الدفاع على مصالح النّاس وتقديم خدمات لهم.

3-العلاقة بين المنتج والمتلقي:

إنّ علاقة المنتج بالمتلقي لم تكن نفسها طوال قراءتنا لنص الخطبة باعتبار الخطاب ممارسة تجري تداولياّ في سياق معّين مما يحول دون ثبات سماتها، فالمنتج متجدد في أرائه وقد اتصفت هذه العلاقة بأسبقيتها على إنتاج الخطاب ذاته, فالمنتج في بداية الخطبة يعالج مقام المتلقي فيها انعكاس وتوطيد لواقع الفارق الطبقّي بين السيد الحاكم والعبد المحكوم في مجتمع البصرة وهو واقع وجبت مراعاته بغية استرضاء الطبقة العالّية, وتنحصر وسائلها في استخدام اللّفظ القريب المفهوم, الإطناب...

تظهر سلطة المتكلم تعبيرًا لموقف عام من خلل قد عم عن موقف من العصر ومظاهره (الفحش، الريبة، الغنى المفرط...)، يعمد المنتج في تحاوره كما هو بادٍ على مبدأ افتراض ردود فعل المتلقي وهذا مبدأ حجاجي هو أساس بناء التواصل يظهر من خلال استعمال الأفعال الطلبّية (النهي، الأمر)، فالأمر ينقل السامع إلى حالة إجبارية تحيل بإنجاز ذلك الفعل وفي

1- الخطبة، ملحق ص51.

الأخير، ينتقل إلى النداء والدعاء لشد المخاطبين وتغريه بزيادة النظر فيه والوصول إلى التأثير والإقناع، لا سيما إن كان دعاء ختاميّ فالمنتج يستغل قوة فعل الدعاء بوصفه فعلا يتم عن طريق التلّفظ به إذ بمجرد التلفظ بصيغة الدعاء يكون المتكلم قد أنجز الفعل، وبالنسبة للمخاطب فيحس بالتقارب بينه وبين المتكلم فيصبح الدعاء أداة السلطة الخطابّية، مما يجسد لنا الوفاق الحاصل بين المتكلم والمخاطب، وهو بمثابة الإعلان عن نجاح فعل التخاطب.

والملاحظ من خلال هذا تذبذب في العلاقة بين الخطيب وا لُمخاطب فإن رآهم على خطأ لم يوافقهم وإن رآهم على صواب وافقهم، فالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه هي علاقة تبليغّية تواصلّية وهذا ما يبينه المخطط التالي:

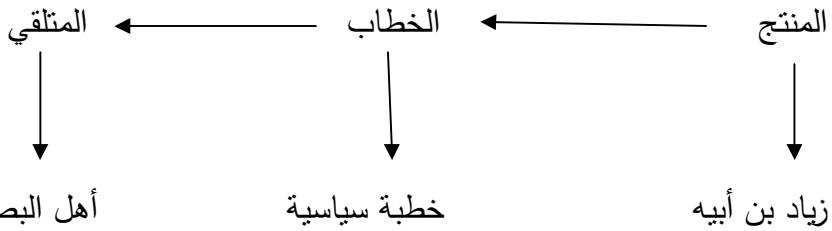

فالمنتج زياد بن أبيه له خلفية مرجعية عن المتلقي (أهل البصرة) لتحقيق عملية تواصلّية ناجحة ولا يتم هذا التواصل إلا عن طريق رسالة والتي هي عبارة عن خطاب سياسّي موجه يهدف إلى تحقيق مقصدّية واضحة.

المبحث الثاني: الإطار الزمكانّي.

1-الزمان: يتحدد الإطار الزمانّي من خلال سلسلة الأحداث التي وقعت في فترة محددة هي فترة إنتاج الخطاب، غير أن المنظور التداولّي يتجاوز كونه مجرد لحظة إنتاج الخطاب إلى سلسلة الوقائع والأحداث التي قد يوجد لها صدى في الخطاب وبالتالي فإن زمن الخطاب هو زمن مطاطي قابل للتمدد أو التقلص حسب طبيعة موضوع وهدف الخطاب[1]، وفيما يخص التحديد الزمانّي لإلقاء الخطبة يمكن تقسيمه إلى قسمين: زمن داخلي وزمن خارجي، فالزمن الخارجي هو الزمن الذي يتعين انطلاقا من تتبعنا للسياقات التاريخّية، والمصادر التاريخّية لا تشير إلى تاريخ محدد لإلقاء الخطبة وإنما يمكننا أن نستنتج من خلال فترة حكم زياد بن أبيه وتوليه للخلافة على البصرة (45هـ-665م) وهو نفسه تاريخ وفاة المغيرة بن شعبة، أما الزمن الداخلي فهو عبارة عن أحداث لم تقع في زمن محدد بعينه فهي تحدث في زمن الماضي وفي الحاضر والمستقبل أو الأمر وهذا ما نلاحظه في الجدول التالي:

الماضي	المضارع	الأمر
طرفت	ينبت، لا يخاف	انج
اختار	لا يتحاش، تركّكم	اعلموا
ذهب	ما أُعد، سمعتموها	
باعدتم	لا يزول، لا تكنون	
رأيت	لم تقرؤا، لم تكن	
حلت	لم تسمعوا، قربتم	
	لا أوتي، يلقى	

[1] - حبّي حكيمة،السياق التداولي في"كليلة ودمنة"،لابن المقفع، مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، ب ت، ص104.

	تعتذرون، لم يزل لم تسبق، تستقيم يؤخذ، تغضون، فليزدد	

نلاحظ من خلال الجدول أن الخطبة قد تضّمنت العديد من أفعال الماضي والمضارع والأمر ومن الناحّية الزمنّية نجد أن الفعل المضارع وارد بكثرة دلالة على الحاضر المستمر إلى المستقبل، فما دام مجتمع البصرة في ضلالة في الوقت الحاضر فهو مرتبط به في المستقبل والملاحظ أن الزمن الحاضر مرتبط بزمن الماضي في الخطبة مثل:(دعوى الجاهلية، متى يأتي الخبر الكوفة...).

فالزمن اللّغويّ مرتبط بلحظة إنتاج الخطاب الذي يمثله الزمن الحاضر، فهو لنا كذلك بواسطة بعض دلالات المرجعّية المتمثلة في:

- **الزمن السرمديّ:** وهو الزمن الدائم والمستمر.

-**دلج اللّيل:**السير في أول اللّيل.

- **الفانّية:** فترة العيش في الدنيا.

- **الباقّية:** الخلد.

- **النّهار:** فترة من الزمن.

فلهذه الدلالات الزمنّية خصوصّية هامة تتمثل في الأمور التي شاعت آنذاك في زمن حكم زياد للبصرة فلو رجعنا إلى أوضاع البصرة لرأينا أن السياسة الأموّية تختلف عن بقية السياسات السابقة، حيث توصف بالشدة والعنف فهي الفترة التي تولى فيها زياد بن أبيه الحكم.

النظر في دلالة الألفاظ هذه تدل على الاستمراريّة في التجدد، وتوفر هذه الأفعال في النّص يضفي عليه حركة ونشاطا وهذه الحركّية تنزع إلى التغّيير وتأبى الثبات على حال فاستعماله للباقّية والنهل، دلج اللّيل كلها تتجدد.

2-المكان:

إن لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة، فالمصادر التاريخّية تشير إلى مكان حدوث الخطبة مسجد البصرة الذي كان مركز للصلاة ومركز للحكم ولهذا المكان خصوصياته:

البصرة: هي إحدى مدن العراق تقع جنوب "العراق" على شط العرب بين "الكويت" و"إيران" على مسافة حوالي 70كيلو متراً إلى جنوب من منطقة "القرنة" والتي هي جزء من محافظة البصرة[1] ولها أسماء كثيرة أخرى سميت بها منها: أم العراق، البصرة العظمى، البصرة الزاهرة، ثغر العراق الباسم، الفيحاء قبة العلم.

بالإضافة إلى الأماكن الفرعّية المتمثلة فيما يلي:

الكوفة:(وهي المواضيع المستديرة من الرمال فتسمى كوفان، وبعضها يسمى الأرض التي فيها الحصبا ء مع الطين، وهي مدينة تدنو من بلاد العراق لها شأن في الحياة السياسّية والفكرّية.

المواخير المنصوبة:(وهو بيت الريبة يتردد الناس إليه).

مكانس الريب:(مكامنها المستترة وهي محل المنسكر وجمع مكنس كمجلس الوالي).

جمراء الجند:(حبسهم في الأرض وقفلهم).

غرق قوماً:(فجر في أرضهم الماء لكثرة المياه في البصرة هذه الأماكن الفرعية كلها تتدرج ضمن المكان الأصلي وهو البصرة

1- www.startines.com

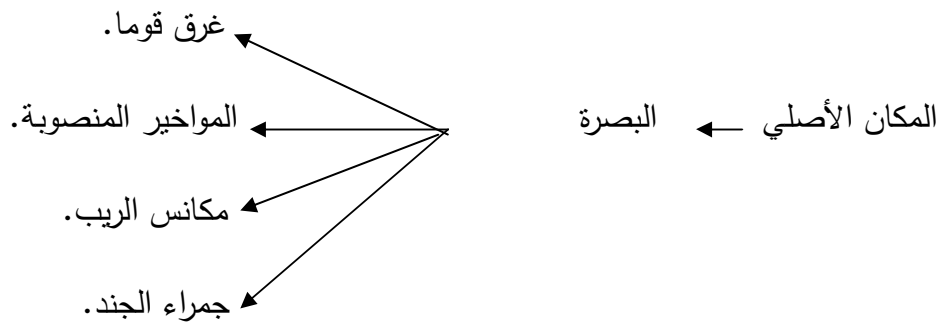

ما نريد التلّميح إليه في هذه الخطبة علاقة المكان بالظروف التي يعيشها هذا المجتمع ونبرة التحدي والإرشاد من ورائها هدف يرمي به الخطيب إلى تبليغه إلى مجتمع البصرة، ملمحا بمختلف الدّلالات المكانّية التي تدل على الوضع الغير المستحسن وما وصل إليه هذا المجتمع بالرغم من انتشار الإسلام، فالمكان يعطي هوّية للّنص الخطابّي على وجه الخصوص، ويحيلنا بذلك إلى التعرف على ظروف ذلك المجتمع.

المبحث الثالث: إستراتجية الخطاب:

1-موضوع الخطاب: تكمن أهمية الموضوع -موضوع الخطاب- وهدفه ودور المتدخلون في الخطاب أهمية كبيرة من حيث أنه يفسر تصرفات المتدخلون في الخطاب ونواياهم وغاياتهم والأساليب التي استعملها المخاطب(الموضوع، جنس الخطاب)[1] في علاقتها بالوضع المعاش أو المقام الذي طرح فيه الخطاب.

تنتمي خطبة زياد بن أبيه إلى الخطاب النّثريّ وتحديدا الخطبة السّياسّية في العصر الأمويّ الذي عرف ثورات وحروب واحتج الولاة إلى تصريف القول بالإقناع والوعيد عند مخاطبة الجموع، وما نصل إليه أن معاني الخطابة السّياسّية في العصر الأمويّ قد تبلورت حول الحث على الجهاد أو شرح سياسة الخليفة أو الحاكم والمشاورات السّياسّية والحربّية والمناظرات بين الفرق والأحزاب والحزب الحاكم، وهذا بالنسبة للموضوع العام كبنية كبرى الذي تتدرج تحته مواضيع فرعية كبنية صغرى " والذي يمثله في المخطط التالي:

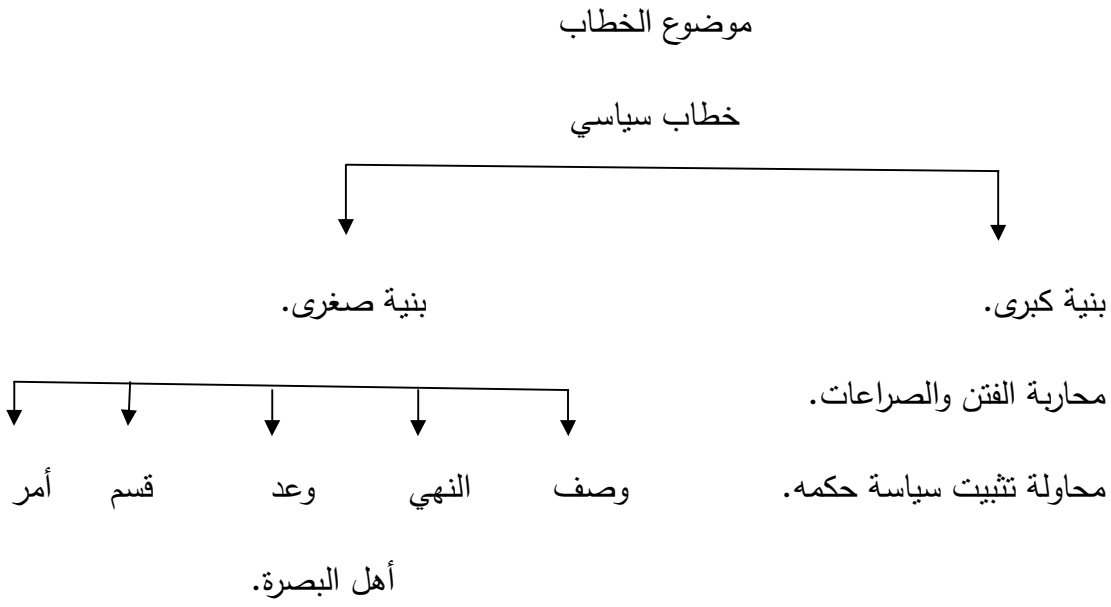

1- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة تيزي وزو، 2005، ص119.

ففي هذا المخطط إشارة إلى نقطة أساسية وهامة يتميز بها الخطاب النثري الأموي وهي تعدد الأساليب الإنشائية في كامل الخطبة والانتقال من أسلوب إلى أسلوب دون أن يحدث أي خلل في الخطاب حيث نجد الخطبة متعددة الأساليب من أمر ونهي.

2-الهدف:

يحدد موضوع الخطاب الهدف الذي يسعى المتلفظ إلى تبليغه، باعتبار أن كل موضوع يسعى إلى رد فعل ليصل إلى هدف وفق نوايا المنتج وغاياته وأساليبه في إطار مقام محدد ويمكن الوقوف على المثال التالي لمعرفة أساليب مساهمة موضوع الخطاب في تبيان أهداف الخطبة

مثال:« إياي ودعوة الجاهلية»

نلاحظ من خلال هذا المقتطف المأخوذ من الخطبة أن الهدف التداولي للمنتج هو الحث عن تجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الضلال وهذا ما يؤكد تقسيم الأدوار تداوليا في هذه الخطبة من حيث أن المنتج أعلى مكانة (درجة) من المتلقي لذلك نجد أن الخطاب نبرة نصح وأمر، نهي وهو ما نلاحظه في مواضيع أخرى من الخطبة مثل:

- «أسأل الله أن يعني كلا على كل»[1].
- «وفيئنا بمناصحتكم لنا»[2].
- «فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي»[3].

نلاحظ أن هذه المقتطفات تحمل كلها نبرة النهي والنصح والأمر وتعبر بشكل واضح على مقام المنتج الذي يبدو أنه أعلى درجة.

1- ملحق ص52.
2- ملحق ص52.
3- ملحق ص52.

ينقسم الهدف الخطابي إلى قسمين في خطبة زياد المتمثلة في المخطط التالي:

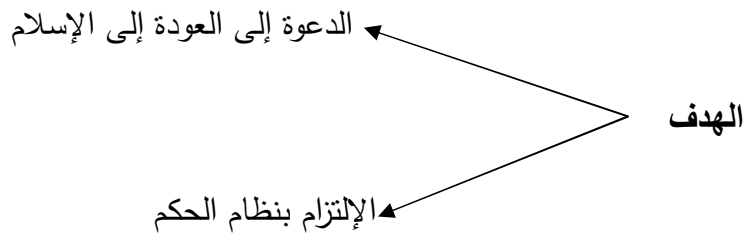

يبدو أن خطبة زياد كانت ترمي إلى تحقيق مجموعة الأهداف وهذا ليس بغريب على أساس معروف وعلى إثر ذلك سنحاول هنا أن نستجلي أهم أهداف هذه الخطبة:

1- الدعوة إلى العودة للإسلام:

يظهر ذلك في قوله:

-«كأنكم لم تقرؤا كتاب الله»[1].

يحاول زياد في خطابه أن يذكر المتلقي للرجوع إلى كتاب الله واستدراجه إلى إتباعه، وما نلاحظه في مواضع متعددة من الخطبة

- «فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم»[2].

- «من كان محسنا فليزدد إحسانا»[3].

يظهر من خلال هذه الأمثلة أن الهدف الخطابي هو دعوة المنتج المتلقي أن يتبع الدين الإسلامي وأن يظهر هذا في تطبيقاتهم المعاشة وهذا ظاهر في كل أجزاء الخطبة.

1- ملحق ص50.
2- ملحق ص52.
3- ملحق ص51.

2_الالتزام بنظام الحكم:

بالإضافة إلى الهدف الذي تم ذكره هناك أهداف أخرى كالالتزام بنظام الحكم اتجاه المتلقي وهذا ما يظهر في المثال التالي:

- «فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي»[1].

- «وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها»[2].

نلاحظ من هذه المقتطفات أن زياد بن أبيه تحمل التزاما اتجاه نظام حكمه، وهذا ما يظهر سياسته العادلة اتجاه المرسل إليه(أهل البصرة) والدليل على ذلك استهدف ذاته ليقتدي بها الآخرين.

1- ملحق ص51.

2- ملحق ص51.

خاتمة

تتأتى أهمية التدّاولّية في طرحها لإشكاليات جوهرية في النّص الأدبّي لأّنها تحاول الإحاطة بالعديد من الأسئلة منها من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وماذا يقول بالضبط عندما يتكلم؟ وما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كل هذه الأسئلة نحاول التوصل إليها في إطار مقامّي محدد ضمن دراستنا لخطبة زياد بن أبيه؛ حيث عكست لنا جوانب من الحياة العامة التي عاشتها بني أمّية بعد حادثة كربلاء، وهذا ما جعلنا نكشف عن خلفيات الحياة الاجتماعّية والسياسّية في ذلك الوقت.

تخير زياد بن أبيه في خطبته ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المتلقي الذي وصفه، وذلك بما يتراعى مع إعداد خطابه وفقا لمنصبه السياسّي في ذلك الوقت، ومن خلال دراستنا لخطبة زياد بن أبيه "البتراء" توصلنا:

– إلى أن النص هو الذي يفرض علينا عناصر المقام.

– والمنتج هو الذي يتحكم عادة في هذه العناصر المختلفة والتي تتحكم في العملّية التخاطبّية التي تفرض عليه أن ينظم خطابه وفق ما يقتضيه المتلقي وهذا ما تفرضه العملّية التواصلّية بين المنتج والمتلقي، فعلى أي متلقي فهم الرسالة وذلك بتوفير معلومات مسبقة على المنتج.

– تعتبر الذاتية من الأبعاد التدّاولّية التي استطعنا من خلالها اكتشاف شخصية المنتج من خلال الخطبة.

– الإقناع هو سلطة استعملها المنتج بأساليب مختلفة، مثل التلميح بالتهديد والوعد والوعيد.

– أما بالنسبة للمتلقي فقد بدا في الخطاب من خلال ملفوظاته التخييلّية متضمنة ضمن صيغ أفعال الكلام غير مباشرة، وفي هذه الحالة المتلفظ هو المسؤول عن الأعمال المتضمنة في حين أن المتلقي هو من توجه إليه هذه الأعمال.

– يظهر المتلقي من خلال واصلات الخطاب المتمثلة في الضمير "أنتم".

– المتلقي يبدو أنه أدنى منزلة من المنتج وهذا ما تفرضه العملّية التخاطبّية في الخطاب السياسّي

– المكان والزمان عنصران أساسيان من عناصر المقام؛ حيث يعطيان هوية للّنص الخطابّي على الوجه الخصوص ويحيلنا إلى التعرف على ظروف ذلك المجتمع.

- تنتمي خطبة زياد إلى الخطاب النثريّ السياسّي يهدف هذا الموضوع إلى تحقيق هدف معين يسعى من ورائه تثبيت سياسة حكمه والالتزام بالدين الإسلامي، كل هذه الأمور تم ذكرها في قالب خطابّي سياسّي.

يبدو وأنك تقرأ في خطبة زياد استعمال عبارات خطابية واضحة الهدف ذات صلة بالواقع تشد القارئ وكأنه يتصفحها لأول مرة ليس فيها من التصرف بوجوه الكلام ما في عبارة الإمام، وليس فيها من العصب ما في عبارة علي وهذا ما رأيناه نحن، هل بإمكان الباحثين أن يفهموا جوانب أخرى للمنهج التداولي لم نستطع الولوج إليها؟

وفي الأخير ما نتمناه من هذا البحث بمثابة خطوة في اتجاه اكتناه آفاق واسعة فتحها التناول التداولي للخطاب وفق لقراءات تأويلية والتي تجعلنا نفهم تراث الأدبي العربي.

ملحق

نص الخطبة:

قال زياد ابن ابيه بالبصرة:

أما بعد: فإن الجهالةَ الجهلاَء[1]، والضلالةَ العمياَء، والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سُفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم[2]، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا ينحاش[3] عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا[4]، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية[5]، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير[6]المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة[7] عن دلج اللّيل[8] وغارة النهار؟! أقربتم القرابة وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس أليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه[9]، صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجوا معادًا[10] ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا

1- الجهلاء: هذا وصف تركيب المبالغة ومثله ليلة ليلاء، ويوم أيوم أي شديد أو أخر يوم في الشهيد.

2- حلماءكم: عقلاءكم،

3- ينحاش: ينفز يرتد

4- طرفت عينه الدنيا: أما بها شيء فدمعت وطرفت بصره أطبق أحد جفيه على الآخر وطرف عينه كضربه: صرفه ورده.

5- إختار الفانية على الباقية: فضل الفانية (الدنيا) على الباقية (الآخرة).

6- المواخير: جمع مأخور وهو بيت الريبة معّوب أو عربي، من مخزن السفينة لتردد الناس إليه.

7- نهاة تمنع الغوات: نهاة جمع (ناه) منع الأخرين عن عمل الشر، غواة: جمع غاو: وهو المال المفسد.

8- دلج اللّيل: الذهاب في ستر اللّيل للفسق.

9- يذب: يدافع

10- يرجو معادا: البعث في الآخرة.

وراءكم كنوسًا[1] في مكانس الريب[2] حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض، هدما وإحراقا، إني رأيت أخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف وشدة في غير عنف وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي، والمقيم بالضاغن، والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سُعيد[3]، أو تستقيم قناتكم، إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها[4] في وأعلموا أن عندي أمثالها من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فإياي ودعوة الجاهلية[5] فإني لا أخذ داعيها إلا قطعت لسانه وقد أحدثتم إحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة: فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدي ولساني ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف[6] ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فجعلت ذلك دبر أذني[7] وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته إني والله لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم، وأرعوا أنفسكم، فرب مسوء بقدومنا سنسره ومسرور بقدومنا سنسوؤه.

أيُها الناس، أنا أصبحنا لكم سادة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنك

1- كنوسا: جمع كانس.

2- مكانس الريب: مكامنها المستترة جمع مكنس كمجلس الوالي: السيد.

3- أنج سعد فقد هلك سعيد: سعد وسعيد هما ابنا ضبة ابن أد خرجا في طلب إبل أبيهما فوجدها سعد فردّها وقتلها سُعيد فكان ضبة إذا رأي سوادا تحت اللّيل قال: سعد أم سعيد؟

4- فاغتمزوها: عدوها من عيوبي واغتمز: طعن عليه

5- إياي ودعو الجاهلية: قولهم يا فلان والغرض منه مناصرة المصيبة.

6- أحد منكم ريبة بخلاف: أي تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم.

7- دبر أذني: أي خلف أذني قد إقتبسها من كلام معاوية.

عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا[1] بمناصحتكم لنا، واعلموا إني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه[2] ولا مجمراً لكم بعثا[3] فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فإنهم ساستكم المُؤدبون، وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بعضهم فليشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا به حاجتكم مع أنه لو أستجيب لكم فيه لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر على إذلاله[4] وأيُم الله أن لي لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.

1- فيئ: ما كان فينسخه الظل.

2- ولا رزقا عن ابانه: وقته وموعده.

3- ولا مجمرا لكم بعثا: الجند حبسهم في أرض الأرض ولم يقف لهم.

4- أنفذ فيكم الأمر على إذلاله، أي وجهه وطرقه،

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القران الكريم:(رواية ورش).

المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ط4، دار الصادرة بيروت، 2005.

2- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، ، 1998.

3- السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2003.

4- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- أحمد جبر الشعث، جماليات التناص، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 2003.

2- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبعة والنشر، القاهرة، دت.

3- الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح:محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط11، 1996.

4- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، 1973.

5- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ج1، القاهرة.

6- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل العربي، ط1 بيروت ، 1986.

7- سعيد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب ط3، د ب، 2002.

8- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجيمان، 1997.

9- عبد الهادي بن ظافر الشهيري، إستراتجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الجديد، 2003.

10- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط7، ج1، ، 1997.

11- فرحات بلولي، التعاقب اللغوي في لغة الصحافة الرياضية جريدة «الهداف» أنموذجا منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

12- محمد إسماعيل الجاويش، موسوعة دهاة العرب، مؤسسة جوريس الدولية للنشر والتوزيع ط1، 2005.

13- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الرياض، تح: الشيخ عادل أحمد، ط1، 1998.

_ قائمة المصادر والمراجع المترجمة:

1 - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، الجزائر، 1992.

2 - آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر لبنان، 2003م.

3- باتريك شار ودو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، تونس، 2002.

4- دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،، 2008.

5- فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، د ت.

الرسائل:

1- حّي حكيمة، السياق التّداولّي في "كليلة ودمنة" لابن المقفّع، مذكرة ماجستير، تيزي وزو د ت.

2- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، قسم اللغة العربية، 2005.

مجلات

1- منصوري مصطفى، نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة سيدي بلعباس الجزائر.

الموقع الاكترونية:

www. Startines.com.

الفهرس

فهرس الموضوعات.

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الركائز الأساسية التّي تقوم عليها الدراسة المقامّية.

تمهيد.....07

المبحث الأول: نشأة الدراسة المقامّية.

1-المفهوم اللّغوي للمقام 09

2-المفهوم الاصطلاحي للمقام..... 10

3- مقتضيات المقام 14

المبحث الثاني: مفاهيم عامة حول عناصر المقام.

1- المنتج..... 15

2- المتلقي..... 16

3- الإطار الزمكاني..... 18

المبحث الثالث: مفهوم الخطبة. المفهوم اللّغوي للخطبة.

1- المفهوم اللغويّ للخطبة..... 19

2- المفهوم الاصطلاحي للخطبة.....20

3- أنواع الخطب.....20

الفصل الثاني: تحليل عناصر المقام في خطبة البتراء "دراسة تطبيقية".

تمهيد.....23

المبحث الأول: المتدخلون في الخطاب والعلاقة بينهم

1-المرسل في خطبة زياد بن أبيه.....26

2-المرسل إليه في الخطبة.....34

3-العلاقة بين المرسل والمرسل إليه.....36

المبحث الثاني: الإطار الزمكاني.

1-الزمان.....38

2- المكان.....40

المبحث الثالث: الخطاب وتوجيهه.

1-الموضوع..... 42

2 - الهدف.....43

خاتمة..... 48

ملحق..... 53

المصادر والمراجع 56

الفهرس..... 58